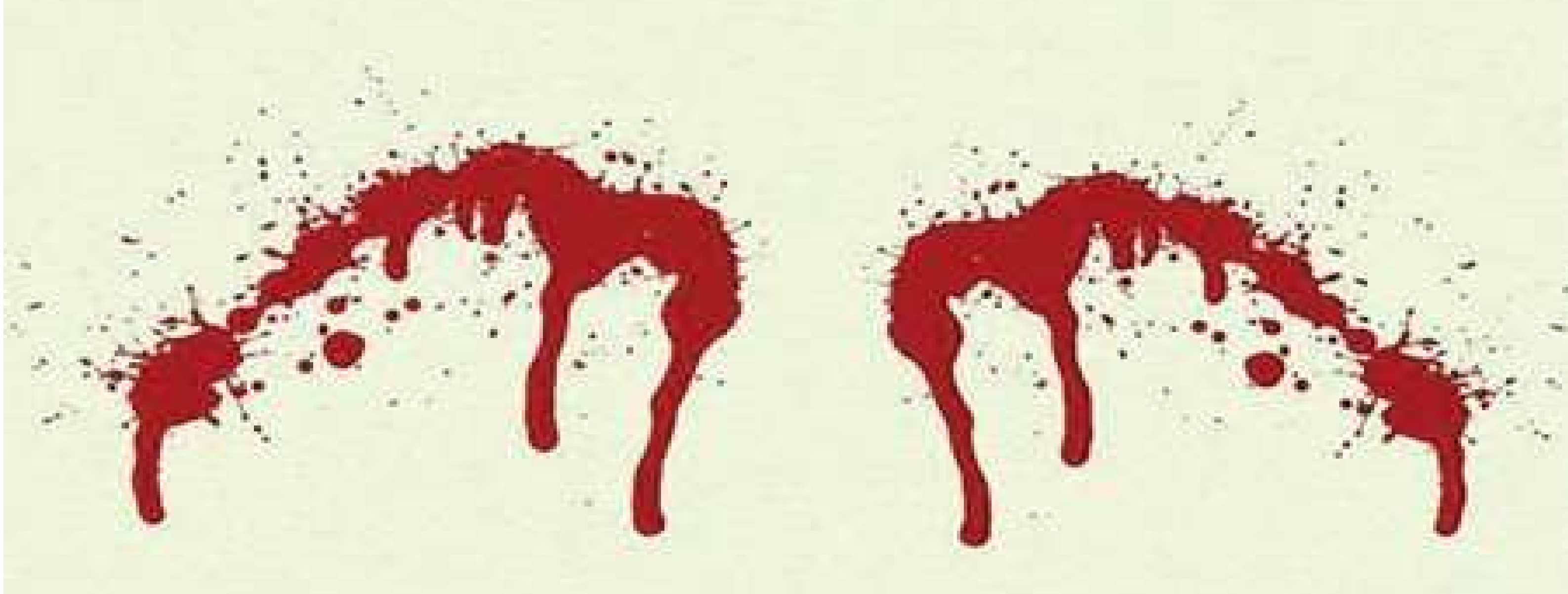
30



لا للعنف

مجموعة قصصية



ذ. محمد سعيد الريحاني

مُحَمّد سَعِيد الرَّيْحَانِي

لا للعنف

﴿مجموعة قصصية﴾

مكتبة سلمى الثقافية

عنوان الكتاب: "لا للعنف"
نوع الكتاب: مجموعة قصصية
الكاتب: محمد سعيد الريحاني
الطبعة: الأولى، **2014**
رقم الإيداع: **2013 MO 3805**
الترقيم الدولي (ISBN): **978-9954-9390-9-0**
الناشر: مكتبة سلمى الثقافية، تطوان/المغرب

الكتابة بالمجموعة القصصية:
كتابة الاحتجاج القصصي

حوار أجراه الشاعر المغربي أنس الفيلالي

سؤال: هل تعتمد منهجا معينا في الكتابة السردية يعطي لنصوصك فُرادة وتميُّزا؟

جواب: أهم ما تعلمته خلال تجربتي في قطاع التدريس العمومي **ثلاثة** أمور هامة: أولها، **التفكير بالأهداف؛** وثانيها، **تحقيق الأهداف؛** وثالثها، **التمييز بين الشعارات والأهداف.** وقد تأكد لي مع مرور الوقت بأن هذه الأمور الثلاثة هي قواعد للتفكير في مجالات الحياة كلها بما في ذلك قواعد التفكير والكتابة الأدبيتين، أو ما يسمى عادة ب"**المنهج**".

ف"المنهج" هو **الوعي بالكتابة.** والكتابة المنضبطة للمنهج هي **أرقى أشكال الكتابة الواعية بذاتها**. وعليه، فالخطر المتربص بالكتابة الإبداعية الأدبية هو **غياب المنهج الناتج عموما عن الجهل بالمناهج**. وعليه، فمنهجي في الكتابة هو "**الكتابة بالتيمة القصصية**" حين يتعلق الامر بالمجموعة القصصية، و"**المصالحة بين الشكل والمضمون**" حين يتعلق الامر بالنصوص منفردة، واعتماد "**الحاءات الثلاث**"، "**الحرية**" و"**الحلم**" و"**الحب**"، كمضامين لنصوصي القصصية القصيرة خصوصا وأعمالي السردية عموما...

سؤال: أيهما أسبق: النص الأدبي أم الرؤية الفنية؟

جواب: تكوين الرؤية منطقيا يحضر **قبل** تكوين نص ليس فقط في **الأعمال الإرادية القصدية** ولكن حتى في الأنشطة التي تظهر للعموم **كتواصل تلقائي** هي في جوهرها تتحكم فيها "**رؤية مضمرة**" أو تسيرها رؤية صارت بفعل العادة والتكرارية آلية عفوية...

لذلك، ليس من المقبول الشروع في كتابة النصوص قبل تكوين **رؤية واضحة المعالم للنص ولعوالمه**. إذ يمكن البدء بتكوين رؤية عن الذات من خلال الأحلام أو بتكوين رؤية عن **المجتمع** من خلال التاريخ الفردي في التلاقح والتناطح مع المجتمع أو بتكوين رؤية عن **الوجود** من خلال خلاصة القراءات والتأملات المراكمة على مفكرة الأديب العازم على خوض تجربة الكتابة الأدبية...

النص ليس سابقا على الرؤية حتى يكون مولدا لها. **النص لاحق على الرؤية**. ولذلك، فهو ينقلها ويعكسها على مرآته. وعليه، فإذا غابت الرؤية لحظة الكتابة، عكس النص المكتوب غيابها. وإذا حضرت الرؤية لحظة الكتابة، عكس النص حضورها...

سؤال: هل نَضُجَ منهجك في الكتابة الأدبية السردية؟ هل صار له اسم مُعَرَّفٌ؟

جواب: **"الواقعية"** منهج تجاوز عمره المائة سنة من الوجود وهو "**شكل فني ثابت**" ب"**مضامين متغيرة**" مهما تعددت مسمياتها: واقعية **نقدية** وواقعية **اشتراكية** وواقعية **سحرية** وواقعية **رمزية**...

أما **التجريبية**، فتقف على الطرف النقيض من **الواقعية**. إنها "**شكل فني متغير**" ب"**مضامين متغيرة**" أو "**بدون مضامين**" بالمرة.

أما "**الحائية**"، **أو** "**التجريبية الجديدة**"، فمنهج مستقل عن الاثنين غايته "**تحرير الشكل والمضمون معا**" **و**"**المصالحة**" بينهما بحيث يعبر الأول عن الثاني **فنيا** فيما يعبر الثاني عن الأول **تيميا**...

وعليه، فأنا أعتبر "**الحائية**" أفقا قصصيا جديدا للكتابة السردية وهذا يكسبني حماسة في الكتابة كما يمدني بقوة إضافية في الذوذ عن المطلب وحمايته من هدم الهدامين...

سؤال: تدافع عن طرح متميز يبدو أن الكثيرين لا يساندونك فيه وهو طرح "**جعل المغرب عاصمة للقصة القصيرة في العالم العربي وما هو أكبر من العالم العربي**". هل ترى هذا الطرح واقعي؟

جواب: مفهوم **العاصمة** لا يلغي وجود العطاء والإنتاج في قطاعات أخرى. فمفهوم **العاصمة الاقتصادية**، مثلا، لا يعني أن كل الاقتصاد مركز فيها وأن غيرها من المدن لا تعرف زواجا اقتصاديا وأنها تعيش على الإعانات الخارجية والمساعدات الدولية...

إن مفهوم "**العاصمة**" يعني **قطب جاذب** في مجال من المجالات السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية أو غيرها حيث يكون **العطاء** في قطاع **أكثر** من باقي القطاعات الأخرى ومن ثمة تسميتها بالعاصمة الإدارية أو العاصمة العلمية أو العاصمة الاقتصادية...

سؤال: كيف يمكن للمغرب أن يكون عاصمة للقصة القصيرة إقليميا أو دوليا؟

جواب: لفهم عميق للأمر، لا بد من تعقب الإنتاجات الأدبية المغربية **أولا** ومقارنتها ببعضها البعض؛ ثم مقارنتها بإنتاجات المغرب العربي الكبير **ثانيا؛** وفي **الأخير**، مقارنتها بالإنتاجات العربية عموما...

فالزجل كان دائما "**ديوان المغاربة**" والشعراء الذين يذكرهم المغاربة "**كلهم**" زجالون ولا يوجد ضمنهم شعراء باللغة الفصحى: لا **عبد الرحمان المجذوب** ولا **قدور العلمي** ولا **عثمان بن يحيى الشرقي** (الشهير ب"**سيدي بهلول**" صاحب قصيدة "**الفياشية**" الذائعة الصيت في العالمين العربي والإسلامي)...

من جهة الرواية، فبداياتها المتغيرة لا زالت تلقي ظلالها على الحاضر.

أما القصة القصيرة، فمسارها في المغرب مختلف عن مسار الشعر الفصيح إذ تحالفت مع الحركة الوطنية منذ فترة الاستعمار وعرفت نموا ملحوظا وأنتجت كتاب قصة من العيار الثقيل (**عبد المجيد بن جلون، محمد زفزاف، محمد شكري**...) كما جعلت المغرب يتبوأ المركز الأول من حيث كم الإصدارات القصصية في المغرب العربي بأزيد من ستمائة عنوان قصصي، أي **ما يعادل مجموع الإصدارات القصصية في مجموع دول المغرب العربي الكبير الخمسة**...

سؤال: تدافع **بالإبداع والنقد والتنظير** عن **نمط جديد** في الكتابة القصصية: "**الكتابة بالمجموعة القصصية**". ما الخلفية الفكرية التي تحرك دفاعا مستميتا كهذا؟

جواب: مجموعة قصصية لا يربط بين نصوصها **لا أسلوب ولا تيمة** لا يمكنها أن تكون "**مجموعة قصصية**" وإنما "**أنطولوجيا قصصية**" ما دام الخيط الرفيع الجامع بين النصوص **غائبا** أو **مُغيبا**. إنها أشبه ب"**حكوماتنا التكنوقراطية**" التي لا "**ينتخبها**" الشعب ولا يضخُّ فيها دماءه، حكومات مُعَيّنة "**من فوق**" وغير منتخبة "**من تحت**"...

هل صورة مثل هذه تستحق أن ننسج على منوالها صور مجاميعنا القصصة وغير القصصية؟!...

إن نقل المجموعة القصصية من هيمنة **أسلوب الكاتب** الذي يعادل على الأرض "**خطاب الحاكم**" إلى هيمنة **التيمة المركزية** أو "**المطلب**" المركزي الذي يعادل على الأرض "**خطاب المحكوم**" أو"**مطلب المحكوم**"...

إنه انتقال من **نمطية الكتابة** و**سلطة الأسلوب الثابت في الخطاب** إلى **ثورة الأساليب المتعددة للنصوص المتعددة**، من **النص الذي يحاكي الواقع** إلى **الشكل الذي يحاكي مضمونه**، من **الكتابة النائمة المنومة** إلى **الكتابة اليقظة المتيقظة**، من **التقليد** و**التكرارية** و**الاجترارية** إلى **الفُرَادَة** و**التّفَرّد...**

هذه هي الأرضية الفكرية المؤطرة ل"**الكتابة القصصية الغدوية**" التي نعمل لجعلها واقعا إبداعيا جديدا للأقلام الجديدة. إبداعات مضامينها **ثلاث**، "**الحب**" و"**الحرية**" و"**الحب**"، وأشكالها **شتى**...

سؤال: لتجسيد المفهوم، مفهوم "**الكتابة بالمجموعة القصصية**"، ما هي الصورة التي يمكنها نقل التعريف الأنسب لمبدع ولقارئ القصة الغدوية على السواء؟

جواب: "**الكتابة بالمجموعة القصصية**"، أو "**الكتابة بالمجموعة القصصية**" يمكن تشبيهها ب"**تظاهرة شعبية**" (=المجموعة القصصية) يقوم بها "**مناضلون**" (= النصوص القصصية) يرفعون "**شعارا واحدا**" أو "**مطلبا واحدا**" (= التيمة القصصية) ويتحركون طبقا ل"**الشكل النضالي الذي يليق بإنجاح التظاهرة**" (= المصالحة بين الشكل والمضمون). بهذا المعنى، تصبح **الكتابة** و**النضال** وجهين لعملة واحدة.

سؤال: عربيا، ما هي أشكال الكتابة الرائجة في مجال السرد العربي عموما والقصير منه خصوصا؟

جواب: ثمة أربعة أنواع من الكتابة.

النوع الأول يتعلق بالكتابة **بالشكل الواحد** أو ما يمكن تسميته **بالكتابة النمطية**: أسلوب **واحد**، شكل **واحد**، لغة **واحدة.....**

النوع الثاني يتعلق بالكتابة **بالمضمون الواحد** أو ما يمكن تسميته **بالكتابة المذهبية:** الصراع الطبقي لدى الاشتراكيين والمقاومة لدى الرازحين تحت نير الاستعمار...

النوع الثالث يتعلق بالكتابة **اللاواعية لا بالشكل ولا بالمضمون**: مرة تؤيد "**الاستقرار**" ومرة تدعم "**التيه**"، مرة مع "**الحرية**" وقيم "**الحداثة**" ومرة ضد "**الفتنة**" و"**الفرقة**" و"**السيبة**"...

أما النوع الرابع والأخير فيتعلق ب "**الكتابة بالمجموعة القصصية**" وعلى هذا النوع من الكتابة القصصية نراهن في سعينا لتطوير السرد العربي القصير**...**

سؤال: الشكل والمضمون في الأدب العربي، ما العلاقة المنظمة بينهما؟ هل هي علاقة **احتكاك وصدام** أم علاقة **توافق وانسجام**؟ أم علاقة **انفصام**؟...

جواب: عندما كتبت، على خلفية **مصالحة الشكل بالمضمون "مقالا"** حول "**أزمة الأغنية العربية من أزمة الشعر العربي**" ونشرته المجلات الورقية الفنية والجرائد اليومية العربية، قامت القيامة. حتى ذلك الوقت، لم أكن أعلم أنني الوحيد المكتوي بهذا الهم...

فقد كبرت على قراءة الأدب الغربي الذي قام على ذات القاعدة المحركة للمقال. وحين طبقتُ القاعدة على الفن والأدب العربيين، وقفت على حجم **الهوة بين الشكل والمضمون** من جهة وعلى حجم الهوة بين **متلقي الأدب العربي ومتلقي الأدب العالمي...**

لقد كانت مقاومة القراء والنقاد عنيفة لأن نقد التراث الإبداعي العربي هو في عينهم "**نقد هدام**" في زمن "**التكالب**" على الأمة العربية و"**التآمر عليها**"...

الشعر العربي لم يكن متصالحا مع ذاته إلا في مرحلتين: **مرحلة ما قبل الإسلام**، المعلقات نموذجا؛ و**مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية**، الشعر الحر نموذجا.

ففي المرحلة الأولى، **مرحلة ما قبل الإسلام**، **تصالح الشعر الجاهلي مع القيم القبلية لعصره** فكانت مضامينه هي مضامين **"الشهامة والكرامة والبطولة"** فيما كان **الوزن الشعري السائد** هو **"البحر الطويل"** أما **الحجم الأنسب** فكان **"القصيدة الطويلة"...**

كذلك في المرحلة الثانية، **مرحلة الشعر الحر**، حيث تصالح **الشعر الحر** مع **القيم الكونية لعصره** فانصب اهتمامه على: _تحرير الشعر من **النمطية**، تحرير الشعر من **الأغراض**، تحرير الشعر من **الأوزان...** مما جعل **الشعر الحر** يبدو في نهاية المطاف كتجلي من تجليات الفكر"**الصوفي"**، متحررا من كل شيء...

لا للعنف
ضد الطفل

الخروج من الجنة

"أفليست العامة من يسود في هذا الزمان؟ وهي مع ذلك لا تميز بين العظيم والحقير والطريق السوي والمسلك الملتوي، فالعامة متقلبة كاذبة دون أن تشعر بجريمة كذبها".

فريديريك نيتشه،

"هكذا تكلم زرادشت"

(الترجمة العربية) ص.317

- أستاذ!...

التفت إليَّ أحد المعلمين الجالسين بجانبي وسط ساحة هذه المدرسة العتيقة.

سألـتـه :

- أنا ابحث عن معلم القسم الأول؟
- هو اليوم مكلف بالحراسة ...

قلـت :

- أريد مقابلته .

أخرجت من جيبي الاستدعاء الذي توصلت به عن طريق البريد وعرضته عليه.

ألقى المعلم نظرة سريعة على الاستدعاء ثم قال :

- الأمر يتعلق بتهاون ابنك.
- إنما، أستاذ، الحل بين أيديكم...

ظل المعلم ينظر إلي بارتياب.

قلت بالتوكيد اللازم:

- العصا.

ثم بحماس :

- العصا هي الخلاص : "**العصا خرجت من الجنة**"...

ضاعف المعلم تجاعيد جبهته وحملق في بعدوانية واضحة :

- هل سبق لك أن درست؟

لم أجبه. ولذلك استطرد بثقة زائدة :

- هي، يا سيدي، ليست آية أو حديثا كما تخيلت : "**العصا خرجت من الجنة**". ففي جميع الكتب السماوية لم ترد "**العصا**" إلا في قصص موسى عليه السلام. وهو لم يستخدمها أبدا ضد من عصاه من البشر. لقد شغلها مرتين: أمام جبروت السحرة ثم أمام صمم البحر.

قالها ثم استدار جهة جليسه...

هل المعلم يخالفني الرأي فعلا؟ أم هو يعاتبني لعدم تحيته بما يليق بمقامه كمعلم درَّسني في أولى سنواتي بهذه المدرسة؟...

كان نعم المعلم. لا يقبل التسامح مع المتهاونين في إنجاز الواجبات المنزلية. لذلك، كان يصففنا أمام السبورة ويوزع على أكفنا بالتساوي والعدل اللازمين، ضربات موجعة بقضيب يتفنن المجتهدون من التلاميذ في شحذه وتلميعه كي يتسلوا بعويلنا بين الحصة والحصة. لكن النتيجة تكون سريعة : فالمرة الموالية، يرتقي الجميع إلى مستوى المسؤولية. لذلك كان هذا المعلم نفسه يبتسم برضى وسرور وهو يبتعد نحو نافذة القسم الخلفية ليهمهم الحكمة التي فطرنا عليها جميعا :

" العصا خرجت من الجنة".

المعلـمان بجانبي كان مندمجين في حديثهـما قبل أن أوقف انسجامهـما:

- أنا تلميذ سابق عندكم في ذلك القسم ، الطاولة الثالثة، جهة النافذة. أنا فقط ظننت من باب التحية والتقدير تذكيركم بفعالية الحكمة التي كنتم ترددون :

" العصا خرجت من الجنة "...

تعجب الاثنان معا :

- حكمة ! ...

هما يتعجبان ! ...

إن المؤسسة بإدارتها وموظفيها وساحتها وضجيجها... وكل شيء لا زال كما كان منذ الأزل. لكن الأمور على ما يبدو قد تغيرت...

طأطأت رأسي محاولا التركيز على الفضاء بين قدمي :

تجاعيد الرمل ترسم وجها آدميا كوجه والدي حين يختار ملامح الجدية لمصادرة قلق طفولتنا:

- أنظر، أبي، إلى هذه الصورة على الجريدة...

- امممممم ! ...

- البوليس يضربون الناس بالعصي...

- ولكن، يابني، ألا ترى في الصورة السابقة لها أن الناس هي البادية بالاحتجاج والفوضى في الشارع ؟...

- والفوضى في البيت ؟

- في البيت، يا بني، ليس هناك بوليس. الأب هو الذي يفرض النظام ويحافظ عليه...

-وأنت، يا أبي ؟

- أنا، يا بني، إن عاقبتكم فلكي تصبحوا شرفاء مثلي ومثل أجدادكم، ف" **العصا خرجت من الجنة**".

صحت حتى فُزِع المعلمان بجانبي :

- أرجوكما...

التفتا إلي .

- ما الذي خرج من الجنة ؟...

حدقا في طويلا ثم قال أحدهما ساخرا :

- آدم وحواء وثالثهما .

وجدت نفسي أصيح على طريقة **أرشميدس** :

- عصا **!** عصا **!** ثالثهما عصا ...

ثم بانتصار :

- ألم أقل لكما أن "**العصا خرجت من الجنة**"...

السخرية على ثغر الرجل تستحيل ابتسامة جميلة وهو يقول :

- نحن نسمي الثالث "**شيطانا**".

ثم نهضنا لاستقبال أفواج التلاميذ وتنظيم الصفوف استعدادا للدخول للأقسام.

وحدي الآن على الكرسي في الساحة الخالية من كل شيء. وحدي وبدون مبرر لقدومي: ماذا سيقول لي معلم ابني ؟ وماذا سأقول له ؟ لقد اهتزت معتقداتي، مرجعياتي ...

لا أجد أفقا أشغل به بصري.

بين قدمي، صورة الشيطان تتراقص على تجاعيد الرمل.

الشيطان ينتحل صورة أبي وهو يضربنا بجنون حتى يفقد توازنه فيتكور أرضا مغمى عليه بانتظار أن نشمم له شرائح البصل. حتى إذا صحا، زحفنا إليه على بطوننا وقبلنا ظاهر يده ليهمهم من أعماق غيبوبته :

"العصا خرجت من الجنة "

الآن، أمسح المشهد على الرمل بقدمي. أمحق المشهد بأسفل حذائي. أمحقه ولا أنتبه إلا وقد غاصت قدماي في الرمل وتغطت به.

سنة 1995

"آكل النمل" و"آكل الإسفنج"

"الناس ينامون بسلام على أسرتهم في الليل لأن أناسا آخرين يقفون على أهبة الاستعداد للنيابة عنهم في ممارسة العنف".

جورج أورويل

التقاه المعلم في الطريق التي تقودهما معا نحو المدرسة فأعطاه "**شريط**" الإسفنج ليحمله له حتى "**مقهى السلام**". تفاجأ الطفل من قسوة الأستاذ في القسم وقد استحالت خارج أسوار المدرسة إلى طيبوبة غير مبررة:
- كيف عرف أستاذي بأنني لم أتناول وجبة فطوري؟!...

حك رأسه استعجالا لجواب لم يطاوعه. لكن تساؤلا حل محل الجواب:
- لماذا سأنتظر حتى "**مقهى السلام**" كي أشرع في الأكل؟!...

ثم بدأ الطفل في قضم حلقات الإسفنج اللذيذ...

على مشارف "**مقهى السلام**"، ناداه المعلم من الخلف:
- هات الإسفنج. أنت ستكمل طريقك نحو المدرسة. أما أنا، فسأجلس هنا حتى أتناول فطوري!...

وببراءة الطفل:
- أي إسفنج، يا أستاذ؟
- الإسفنج الذي أعطيتك لتحمله لي حتى "**مقهى السلام**"!...
- ولكنك أعطيته لي لآكله!...
- هل تقصد بأنك أكلته؟!...
- وماذا سأفعل به إن لم آكله؟!...

جن جنون المعلم الذي دار بسرعة حوله بحثا عن إسفنجي قريب فلم ير غير دكاكين مغلقة ونظر إلى ساعته فوجد العقارب تلعق الدقائق العشر المتبقية لدق جرس بدء العمل في كل مدارس البلاد:
- حسنا. اسبقني للقسم. سأخرج منك الإسفنج حلقة حلقة. هل اشتريت إسفنجا لكي تأكله أنت، يا ابن الجراد؟!...
- ولماذا أعطيته لي؟ كان بإمكانك الاحتفاظ به!...
- أنا رجل محترم في مدينتي. أنا معلم ولا يليق بي أن أعبر الأزقة والشوارع ب "**شريط**" الإسفنج في يد والمحفظة في يد أخرى. اسبقني إلى القسم!...

في القسم، غير المعلم التاريخ القديم بالجديد وكتب تحته عنوان درس النشاط العلمي: "**آكل النمل**". لكن لم يكن ثمة درس ذلك الصباح. فالمعلم لم ينتظر السبب لكي يبدأ في الضرب والركل والصفع. كان يضرب الطفل، "**آكل الاسفنج**"، وحين يلتصق به يركله بعيدا حتى يستلقي على صفوف التلاميذ الجالسين في الطاولات الأولى الذين يدفعونه مرة أخرى إلى المعلم الذي يضخ فيه غضبه بيديه ورجليه ورأسه وعصاه وكلامه وصراخه...

في البيت، كان والدا الطفل، "**آكل الإسفنج**"، يتمرغان من الضحك على شطارة ابنهما وهما يرددان حكمة كلما سمح لهما التنفس بالتلفظ بها:
- "اللّي مَاتْ عْلَى شَبْعَ، الله يْرْحْمُه، يَا وْلْدِي! "...

الخميس: 6 يناير 2010

لا للعنف
ضد المرأة

لسعة الذاكرة

"ليست الأعالي ما يخيف بل الأعماق، فعلى الجرف تحدق العين في الهاوية وتمتد إليه نحو الذرى فيقبض الدوار بالإرادتين على القلب".

فريديريك نيتشه،

هكذا تكلم زرادشت
(الترجمة العربية) ص. 170

- دادة زهرة !

لعل هذا هو أحب نداء إلى قلب هذه الطفلة التي تنتظر بفارغ الصبر وقت عجين الخبز كي تجالس من تحب : خادمة عجوز ينتشر الوشم من أعلى جبينها حتى يختفي تحت صدر قفطانها المهترئ ليطل ثانية على ساعديها المكبلتين بدمالج معدنية رخيصة...

هكذا تلتصق الصغيرة بجسد الخادمة فيسري إليها انقباض عضلات العجوز عند ذلك العجين أو رجوفها عند لسعة الغلاي الساخن لإحدى ساقيها العاريتين :

- أوه ! هل أحسست بارتعاشتي ؟

ثم :

- إيه، يا بنتي، مجرد لسعة غلاي أصبحت تؤلمني ...!

- هي تؤلم أي كان، يا دادة.

- لا، يا ابنتي، ليس أي كان.

ثم تشرد الخادمة العجوز في ذكريات بعيدة تقارن خلالها اللسعات :

- لسعة كهذه، يا ابنتي لم أكن أعيرها أدنى اهتمام أيام شبابي، ربما كانت صفائح أقدامنا غريبة عنا، فقد كنا نرقص على أرض لافحة في أعراس الأعيان دون أن تعلو محياها إيماءة ألم...

- ولماذا كنت تفضلين الرقص على الأرض الساخنة يا دادة ؟ !

- لم يكن خيارا بين أيدينا، كان ذاك قدرنا، نحن النساء، فالرجال كانوا يحرقون الأعشاب على ساحة العرس ثم يكنسون بعد ذلك ما ترمد وتفحم من الحطب أو الأعشاب ليدفعونا للرقص على حرارة المكان، حتى إذا حاولنا الهرب من لهيب المرقص أو الاحتماء بطوق المتفرجين، صدونا. هكذا اكتسبنا مع توالي الأعراس، تقنيات الرشاقة وحماس الرقص...

وتصيح الطفلة افتخارا ببطولة أعز امرأة :

- أنت عفريتة، يا دادة، مادمت لم تتركي جلود قدميك هناك !...

بأسى :

- لا، يا ابنتي. ففي البداية انتفخت قدماي ومرضت وتعفنت... داويتها بالأعشاب حتى شفيت، لكنني لم أعد أشعر منذئذ بأي أذى تحت قدمي : لا الزجاج ولا المسامير ولا حتى النار، لقد ماتت جلدة قدمي ومات معها إحساسي بلهيب المرقص. آنذاك بدأت أرقص بهدوء. ثم بخمول. ثم استغني عني ...

الطفلة، غير راضية :

- ولم قبلت الرقص بينهم منذ البداية ؟ !

- وماذا كان بإمكاني أن أفعل؟ لقد اختطفت لذات الغرض .

الطفلة مندهشة :

- لكنك كبيرة، يا دادة، فكيف تختطفين ؟ !

- الكبيرات مثل الصغيرات، لم ينج من الاختطاف إلا من خاف عليها آباؤها فوشموا لها وجهها وأطرافها لأن مختطفي النساء يفضلون عذرية الوجه والجسد.

الطفلة، محتجة:

- ولِمَ لمْ تهربي، إذن ؟ لِمَ لمْ تصرخي؟...

- كانوا كثيرين حين باغثوني في سن الرابعة عشر وأنا ألعب الحبل قرب باب بيتنا، فكتموا صوتي، وعصبوا عيني وقيدوا معصمي... وحين فكوا وثاقي، وجدت نفسي في مكان غريب بين رجال وقحين يطلبون أي شيء ويأخذونه.

انتبهت العجوز أخيرا أنها تخاطب طفلة صغيرة فتكلفت ابتسامة لصرفها ثم حاولت الانشغال عن أسئلة الطفلة بدلك العجين : تقلبها وتقلبها باضطراب، تخبطها على القصعة وتدلكها بعنف بالغ لتخفي توترها، تخبط وتدلك في محاولة لتليين عالم متصلب لا يطاوع الأيادي الناعمة .

سنة 1997

"جُمعَة"

"لا تدَعوا المتشرد يهدم منزل غيره، فليعمل بجد وليبن بيتا لنفسه. هكذا سيتأكد بألا أحد سيهدد بيته هو أيضا".

أبراهام لنكولن

قالت الأولى:
- رحم الله **"جُمعَة"!**

وقالت الثانية:
- تعازي الحارة ومواساتي الصادقة لك في هذا الرزء العظيم، يا أخت الفقيدة!

وقالت أخرى:
- نتمنى، نحن زبونات وزبناء **"جُمعَة"**، أن تكوني لها خلفا وأن تقبلينا زبائن لك في مكتبها على أن تلتزمي نهجها النقي من كل الشوائب وتتبني طيبوبتها مع الجميع!...

في الأسبوع الموالي، أعادت الأخت فتح مكتب المرحومة في حي **"الالة اميرة الحارثية"** وسط المدينة وعلقت على باب العمارة لوحة كتب عليها بخط مذهب **"مكتب أخت جُمعَة"**.

كانت المفاجأة سارة. فبعد سبعة أيام من السواد والحزن والدموع، تدفقت أمواج من الزبناء على المكتب وفاق عددهم الأرقام المتوقعة...

في الأسبوع الثالث، ارتفع العدد أكثر فأكثر حتى صار الناس يصطفون في سلم العمارة الموصل إلى المكتب...

في الأسبوع الرابع، صار الزبناء في الشارع ينتظرون دورهم في طابور طويل بينما كانت الجرائد المحلية تكتب عن **"جُمعَة"** التي أحبها الناس في حياتها وأوفوا لها بعد رحيلها.

وبعد شهر، عُلّقَتْ على باب في عمارة من حي **"الالة ميمونة"** في الضاحية الجنوبية من المدينة لوحة كتب عليها بحروف مذهبة **"مكتب ابنة عمة جُمعَة"** فكانت الطوابير الطويلة في الباب وفي السلم وفي الشارع وفي كل مكان...

في الشهر الثالث، ظهرت لوحة جديدة في باب عمارة أخرى بحي **"الالة عايشة البحرية"** بالضاحية الشمالية من المدينة كتب عليها بحروف مذهبة **"مكتب شقيقة جُمعَة من الرضاعة"**. ثم كانت الطوابير وكان الرواج في الداخل والخارج...

في الشهر الرابع، كان الحديث في كل المدينة عن بركة **"جُمعَة"** التي ضخت دماء جديدة في اقتصاد المدينة ونشطت ساكنتها وخلقت فرص عمل حرة وقلصت البطالة وأغنت كل من ينتسب إليها...

في الشهر الخامس، صنفت بلديات المدينة دون استثناء كأغنى البلديات في كل ربوع البلاد...

في الشهر السادس، تقدم رجل بدعوى قضائية ضد المرحومة **"جُمعَة"** يتهمها بموجبها بتوقيع شيك بلا رصيد مبلغه دزينة من الأصفار وراء دزينة من الآحاد ويطالب العدالة، نكاية ب**"جُمعَة"**، بحقه في مقاضاة عائلة **"جُمعَة"** التي لا زالت تعيش مستفيدة من اسمها وَسُمْعَتها وثَرْوَتها...

في الشهر السابع، تقدم رجل ثان بدعوى قضائية ضد المرحومة **"جُمعَة"** يتهمها فيها بالترامي على أراضيه قبل أكثر من عشرين عاما وبناء العمارات الثلاثة الحالية حيث فتحت ثلاثة مكاتب ويطالب العدالة، نكاية ب**"جُمعَة"**، بحقه في مقاضاة عائلة **"جُمعَة"** التي لا زالت تعيش مستفيدة من اسْمها وَسُمْعَتها وثَرْوَتها.

في الشهر الثامن، تقدم رجل ثالث بدعوى قضائية ضد المرحومة **"جُمعَة"** يتهمها فيها بمُرَاكَمَة الثرْوة عبر المتاجرة في الرقيق الأبيض بتهريب النساء إلى ما وراء البحار ومن بينهن بناته الخمس ويطالب العدالة، نكاية ب**"جُمعَة"**، بحقه في مقاضاة عائلة **"جُمعَة"** التي لا زالت تعيش مستفيدة من اسْمهَا وَسُمْعَتها وثَرْوَتها.

في الشهر التاسع، حضر الرجال الثلاثة وغابت النساء الثلاث النائبات عن عالة **"جُمْعة"** عن أشغال جلسة النطق بالحكم بسبب آلام الحمل التي حَلّتْ بهن فجأة قبل نقلهن إلى المستشفى بينما كانت القاضية ووكيلة المحكمة والمحامية يحررن بصمت رسائل استقالتهن من منصبهن على منصة الحُكم أمام الحضور الصامت...

20 أبريل 2009

لا للعنف
ضد الحيوان

الدمية والقرد

"قل لي ما رأيك
في حياتي
في مراهقتي
قل لي ما رأيك
أيضا في عشقي
للحب وللعنف"...

أغنية من أداء **سيباستيان تيلييه**
Sebastien Tellier

اختار من بين المومسات تلك، الأكثر دُمية. فتاة بشعر أزرق مفتول في ظفيرتين وشفتين برتقاليتين وجفنين بنفسجيتين ورموش طويلة تظلل من سطوة الانوار الكاشفة ثديين نافرين يفيضان كعجين الحلوى من فوق فتحة القميص الأحمر الشفاف بينما تصلصل حليها البلاستيكية فوق قبضة يدها التي تمسك بحافظة صغيرة لجمع المساهمات التي يجود بها الرجال على غير ذويهم. كانت تضاعف من غنجها ودلعها بمحاولتها إخفاء ما تكشفه تنورتها القصيرة جدا وهي تطقطق كعبيها العاليين اللذين يسندان ساقين طويلتين ناعمتين...

في الليلة الأولى من كل شهر، ينفق ما يوافق مصاريف النصف الأول من الشهر. لذلك، فهو بحاجة إلى دمية مطيعة حتى لا تغير إيقاع الليلة فيرتفع المصروف...

ركب الكاميرا لتصوير الحفل المُصغر الذي سيعيش على تذكره لمدة ثلاثين يوما موالية. أنار المكان من كل جانب وبكل الألوان وأشعل الموسيقى ووضع، على المائدة، ألوان الخمر وأشكال البندق والحلوى. ثم أجلس الدمية على فخديه وأعطاها القنينة لتسكب له جرعاته وتوقظ في أعماقه أناه الأخرى...

في الغد، بعد يقظته، كان وحيدا.

كان الوقت متأخرا.

شرب كوب لبن ليبدد الثمالة.

تذكر بشكل غامض أحداثا قريبة بعيدة جرت حواليه في غفوة منه.

شغل جهاز الفيديو الذي ثبت كاميرته الخفية في مكان ما لتصوير حفلة أمس الخاصة.

في الشريط المصور، كانت الدمية الجالسة على فخديه تورده الخمر كوبا بعد كوب وكان هو تحتها يغيب عن وعيه جرعة بعد جرعة...

بدأت الدمية تنزع عنه ملابسه قطعة قطعة....

استلت من واجهة سرواله حزامه وشرعت تضربه به حين يقاوم الأوامر الموجهة له...

تأمره بالوقوف، فيقف...

تطلب منه التكور أرضا فيتكور...

تأمره بالنباح فينبح، وبالنهيق فينهق، وبالبكاء فيبكي، وبالضحك فيضحك...

تطلب منه أن يقلد الراعي في مشيته فيقلده، والقاضي في جلسته فيحاكيه، والقرد في حركته فيجسدها...

في داخله، كانت علامات استفهام عديدة تحاول تركيب جملة مفيدة:
- **"هل هذه هي الدمية التي قدمت بها ليلة أمس لأتسلى بها؟!"...**

15 يوليوز 2010

القِرْدُ الهَجاءُ

"البطولة والقيادة والعنف اللا مبرر وجميع الترهات البغيضة التي تمرر باسم الوطنية -كم أكرهها! "

ألبرت أينشتاين

اكتملت دائرة **"الحلقة الشعبية"** بطالبي الفرجة من المتسوقين البدو في هذا الريف النائي وبدأت كثافتها تكبر وتكبر بالأجساد الآدمية التواقة للضحك على مهارات قرد يهجو بني جلدتهم حين يأمره سيده بضربات سوط على الأرض:

- كيف يكون التاجر؟

يضم القرد قبضة يده إلى صدره في إشارة للبخل.

- والمحامي؟

يقف القرد على أطراف بنانه، متيقظا، ينظر ذات اليمين وذات الشمال.

- والسياسي؟

يجر القرد، بسبابتيه، طرفي فمه في إشارة للابتسام المصطنع.

- والمجرم؟

يخفي القرد بكفه عينا ويظهر الأخرى...

تقدم أحد المتفرجين لاختبار القرد، متهجما:

- وكيف تكون الحسناء؟

لم يعرف القرد الدلالة فظل يبحلق.

- وكيف يكون الرجل السعيد؟

ظل القرد ينظر مرة إلى المتفرج ومرة اخرى إلى سيده لينقده.

- والإنسان الحر؟

لم يسمع القرد بكلمات كهذه في البروفات اليومية التي تكلفه الضرب بالسياط في حالة الخطأ أو التهاون.

توقف المتفرج عن إحراج القرد وسيده. ثم قال للمروض:

- هذا القرد خاص بعورات الناس. ستحتاج لقرد ثان خاص بحسناتهم. أطلق هذا الحيوان المسكين ليستعيد حريته واستقلاليته عن ترهاتك. إن القرد الحقيقي هو أنت. أما هذا الحيوان، فما هو سوى مرآة لمستوى معارفك وقيمك. إنك بحاجة لإنسان آخر، إنسان حقيقي بسوط حقيقي أمام جمهور حقيقي ليعلمك القيم الحقيقية كي تضحك أنت وتُضْحِكَ غيرك عن القيم الزائفة. فالق بسوطك واخل سبيل قردك وجل في الأرض بحثا عمن يخلصك ويهديك...

10 يوليوز 2010

لا للعنف
ضد السؤال

أنت تسألين والحكيم يجيب

"يكون الوعظ ذا ضرر بليغ في تكوين الشخصية إذا كان ينشد أهدافا معاكسة لقيم العرف الإنساني."

"وعاظ السلاطين"، د. علي الوردي، 2003، ص: 6

أخيرا، خرج الحكيم من دورة المياه يتمتم في سره وهو ينشف يديه بحكمة ظاهرة قبل أن يستوي حيث فرش له عرش من الوسائد الحريرية.

طلب مبخرة ثم أشار برزانة إلى الشابة المنكمشة على الأريكة أمامه:

- ما المشكلة؟

أجابت:

- أود، في البداية، أن أثمن تاريخكم الشريف واهتمامكم بقضايا جيل الغد الحقيقية. سيدي الحكيم، إن مشكلتي لا تقبل الانتظار. ولذلك تجاوزت مراسلتكم على ركن " **أنت تسألين والحكيم يجيب**" الذي تواظبون عليه في الصفحة الأخيرة من منبركم التنويري المتميز...

تأملها الحكيم فترة ثم قال بصرامة :

- مادامت المرة الأولى والأخيرة ، فلا بأس...

ثم:

- تفضلي.

الصوت القلق:

-لا أنام، سيدي الحكيم. لا أنام، هذه هي مشكلتي. الأرق يلازمني ليل نهار ويقودني إلى كهوف الأسئلة القلقة والأفكار السوداء.....

الحكيم، بلا مبالاة ظاهرة:

- مارسي أفكارك وحققيها على الأرض وستتخلصين بذلك من سوادها!

ثم باهتمام مفاجئ :

- وما تكون هذه الأفكار السوداء؟

- دوافع غير عادية للقتل والهدم والعبث بكل شيء...

قاطعها الحكيم، رافعا كفه:

- أتفكرين حقا في القتل والهدم والعبث بكل شيء؟!...

- نعم، أيها الحكيم.

ثم عدل جلسته ونمق عمامته ونفض سلهامه الحريري ليقول بنغمة الواعظ العارف بدواخل الأمور:

- اسمعيني جيدا، يا ابنتي. المرة القادمة. حين. يعاودك. هذا. الإحساس. الهدام:"**شمي وردة**". مثلي. تماما. ف .مفعول. العطر. سحري. يهدئ. الأعصاب. المتوترة. و .يسكن. النفوس. القلقة...

صمتت الحكمة بزهو منتظرة كلمة شكر وإطراء. لكن القلق الشاخص أمامها تأفف باستياء عميق:

- غير مجد، سيدي الحكيم. غير مجد. الورد شممته. شممته لكنه غير مجد.....

نظر الحكيم بغرابة إلى السائلة القلقة أمامه. قَرّبَ منه المبخرة بعصبية واضحة ورش قليلا من العطر في فضاء الغرفة ثم عممه في أرجائها بنشاشته وهو يقول متحاشيا النظر إلى الشابة أمامه:

- الحمام، إذن.

وبعد تفكير في تبرير معقول:

- استحمي حين لا ينفع مع حالتك عطر. فالحمام الدافئ ينشط الدورة الدموية. فيخف الإنسان وتتغير معنوياته ليندمج في مجتمعه ويشاركه البناء والتعمير وال...

قاطعته الشابة بنافذ الصبر:

- سيدي الحكيم. سيدي الحكيم. أنا أستحم يوميا، سيدي الحكيم. وطهارتي هي عماد تربيتي. لكنها غير مجدية: سيدي الحكيم. غير مجدية...

خبط الحكيم المبخرة بينه وبين الشابة وهو يلعثم كلماته:

- اسمعيني، يا صغيرتي. حين تثور ثائرتك مستقبلا ولا ينفع معها لا عطر ولا طهارة، فالمرحاض سبيلك. أحيانا تثقل النفايات أمعاءنا في بطوننا ونحن نحسبها أفكارا طليعية أو رؤى تنبؤية استفردنا بها أو مسؤوليات جسام خصنا بها التاريخ...

ثم انتصب الحكيم وانتشل منشفته ثانية مهرولا نحو دورة المياه تتبعه الخادمة بالمبخرة والمرشة والنشاشة...

سنة 1994

لا للعنف
ضد الاختلاف

ألبوم صور

"العنف الرمزي هو عنف يمارس بتواطؤ ضمني من أولئك الذين يتحملونه وأيضا، في أغلب الأحيان، من طرف أولئك الذين يمارسونه بحيث تكون عملية ممارسة العنف وتحمله عملية غير واعية".

بيير بورديو

الصورة الأولى:

صورة بالأبيض والأسود لفتاة صغيرة في كسوة أطول من قامتها وعينين بسعة الحلم تشعان فرحا بلقاء الكاميرا التي ستضمن لها الخلود في صورة.

الصورة الثانية:

على الشاطئ، جسد فتاة ممددة قرب جسد مراهق آخر غزير الشعر، مفتول الساعدين.
جسد صافي تحت الشمس: جسد تفاحة، وجه تفاحة، ثديي تفاحة...
لون البيكيني المخطط بالفستقي والبرتقالي يصنف التفاحة ما بين النمو والنضج.

الصورة الثالثة:

في فستان أبيض، إلى جانب شاب في بدلة بيضاء.
ابتسامة تطل بوميضها من العينين.
نظرات نابعة من القلب.
يد العروس الممدودة إلى فم العريس تحمل ثمرة ويده الممدودة إلى فمها تحمل ثمرة ثانية.
عيون الحضور مسلطة عليهما بأفواه فاغرة...

الصورة الرابعة:

في واجهة الصورة، تجلس في حفل مغاير قرب رجل آخر تسترق النظر إلى يده الراسية على فخدها الأيمن وتبتسم لميله الواضح إليها رغم رحابة المكان على يسار الرجل الغريب.
وفي الخلفية البعيدة للصورة، زوجها مع أنثى أخرى منصهران بوضوح في حمم العناق والقبل...

الصورة الخامسة:

تستدير لمقابلة عدسة الكاميرا مع إبقاء ظهرها للصورة لتظهر الوشمة الخضراء الكبيرة في أعلى الظهر العاري.
تمضغ العلك وتبتسم بالنصف الأيمن من فمها.
شعر حليق، مكياج مبالغ فيه، خاتم في الإبهام وآخر في الوسطى، قطعة معدن في اللسان وأخرى في الأنف...
حذاء عالي الكعب، تنورة قصيرة، ولباس طفولي مبالغ في القصر.
رجل واحدة على الأرض والأخرى على صاري الكهرباء المعطل في شارع مظلم تنير السيارات فيه أجساد نساء أخريات شبه عاريات، على جانبي الطريق.
يد تمسك بالهاتف النقال والأخرى بحافظة نقود.

الصورة السادسة:

آثار ضربة شفرة حلاقة مرسومة على الوجه وظلال ندوب لم تندمل بعد تقاوم ماكياجا كثيفا لم يتوفق في إخفائها. أذن يمنى ممزقة وشعر طويل لإخفاء عيبها. شفاه داكنة وأظافر طويلة سوداء وفي اليد ألبوم للمطربة **"كيليه"** حُرّرَ بخط اليد على ظاهره عنوان أغنية **"أكرهك، الآن"**.

الصورة السابعة:

جالسة على الرصيف، برجل منتعلة حذاء باليا والأخرى حافية...
شعر أشعت، لباس بال ومتسخ، ضحكة بلهاء تكشف عن أسنان مسوسة...
تكوم سجارة كبيرة من ورق الجرائد لتحشوها بأعقاب السجائر المراكمة في راحتها اليسرى...
المارة، على الصورة، يمرون وراءها أو أمامها بلا مبالاة ظاهرة.

يوم 6 دجنبر 2006

لا للعنف

الذي ينقص الاعتراف بالهوية

"كنت، حين يشتد بي اليأس، أستحضر حتمية فوز سبل الحق والمحبة. على مر التاريخ، كان هناك طغاة وقتلة وكانوا يبدون في زمن ما كأنهم لا يمكن قهرهم ولكنهم في النهاية كانوا دائما يسقطون. استحضر هذه الحكمة دائما".

المهاتما غاندي

- السيد مدير **الحالة المدنية**، صباح الخير.
- ما اسمك؟
- "**ميمون الخادم**".
- وماذا تريد؟
- بيع دكاني لتسديد ديوني قبل أن أُودَع السجن. وهذه وثيقة ملكيتي للمحل التجاري.
- ولكن الوثيقة تشهد بأن مالك الدكان هو "**عبد المومن القرشي**"!...
- أنا هو "**عبد المومن القرشي**"!
- هل تريد أن تفقدني صوابي؟ قبل ثوان قدمت لي نفسك بأنك "**ميمون الخادم**". والآن، تقول بأن اسمك هو "**عبد المومن القرشي**"!
- أنا هو **عبد المومن** القديم و**ميمون** الجديد...

طلب المدير، بضغطة زر، الأعوان في الخارج ليطردوا الرجل الذي عاد للإدارة ثانية في اليوم الموالي:
- هل أنت هو الرجل الذي أخرجني عن صوابي، أمس؟
- السيد مدير الحالة المدنية، أنا في ورطة. أنا اسمي الحقيقي هو "**عبد المومن القرشي**". لكن لما ذهب والدي، في غابر الأزمان، ليسجلني ويسجل نفسه في كناش الحالة المدنية، قال له عون السلطة:
- "أنت مجرد عبد وتطمح لتسمية نسلك بأسماء أسيادك وأنسابهم. ما الذي يدور في خلدك؟ سأسجلك باسم العبيد، "**ميمون**"، وبلقب العبيد، "**الخادم**". فاذهب الآن لحالك حتى تتم المناداة عليك"...

تأمله مدير **الحالة المدنية** هنيهة وقال له:
- أحضر، إذن، شهادة تثبت مُطابقة اسمك القديم لاسمك الجديد يوقع عليها اثنا عشر شاهدا ممن ليسوا من عائلتك.

مع حضور الشهود، بدأت التناقضات الداخلية. بعضهم عرف للتو بأن لدى صديقهم اسم قديم وآخر جديد:
- منذ عرفناك وانت تجيب من ناداك بهذا الاسم، "**ميمون الخادم**"!...
- هل كان اسمك "**عبد المومن القرشي**"؟!...
- قل لنا الحقيقة وسنشهد لك!...
- أنا أشم رائحة صيد سمين أو ورث في راحل لم يبق له لا أولاد ولا أصهار. صيد ثمين يغريك بالانقضاض، أيها العفريت!
- قل لنا نيتك أو اقسم معنا!...
- نعم، اقسم معنا وسترى كيف سنقف معك حتى النهاية وسنشهد لك بأنك ما تريده!...
- الشهادة مجرد وثيقة، مجرد ورقة. أما الهوية فلا تقدر بثمن...
- ولك أن تختار...
- أما نحن، أيها الإخوة، فلا ينبغي لنا أن نظل واقفين هنا عند باب "**الموثق**". أنتم تعرفون جيدا بأن في الأمر شبهة!...
- هيا، يا **ميمون**. قرر بسرعة. أما إذا ما تفرقنا، فلن يمكنك جمعنا مرة ثانية!...

26 يونيو 2005

مواكب

"الشعب هو لغة من لا يسمعهم أحد".

مارتن لوثر كينغ

موكب الضحك:

الأيادي الساهرة على قدسية ضريح والي المدينة تطرد خارج باب الضريح شابا متسخا، حافي القدمين وهو يصرخ بصوت مبحوح:

- هاذ الوالي كيعطي غير البراني!...

يخبط بجنون على الشباك الحديدي المسيج للضريح ثم ينسحب نحو الشارع الوحيد لهذه المدينة الصغيرة يتبعه **موكب** من حملة العصي وهم يتغامزون عليه ويحركون عصيهم نحوه، متوعدين:

- والله وتعاود!...

يحاول الشاب إقناعهم بعدالة قضيته:

- "**سيدي بوخبزة**" ما كايعطيش لأولاد البلاد. خبزته كياخذها غير البراني!...

جماعات جديدة تلتحق **بالموكب** للتندر بالشاب: أطفال، كلاب ضالة، ماسحو أحذية، بائعو سجائر بالتقسيط....

يتساءل أحد الأطفال:

- هذا أحمق من الوافدين الجدد؟!...

ماسحو الأحذية يقتربون من الشاب يشمون رائحته الكريهة. يتخدرون بها...

الكلاب الضالة تبحث في رائحة لباسه عما يثير شهيتها للتبول. ترفع أحد قدميها الخلفية ثم ترش الشاب بالزائد من سائلها .

الأطفال يتساءلون:

- وماذا فعل؟!...

يجيب أحد الأطفال الشهود:

- لقد دخل الضريح وتعلق في الثريا المتدلية من سقف الضريح ورفض النزول مفضلا البقاء في السقف متأرجحا ذات اليمين وذات الشمال، مثل **طرزان**، وهو يصرخ ألا حظ له في هذه الحياة وأن الولي الطاهر "**سيدي بوخبزة**" غير عادل وأنه يفضل الغرباء على أبناء البلد. ولم ينزل إلا بقوة العصي على ساقيه المتدليتين فوق رؤوس الجموع تحته...

إيقاعات موسيقية متباينة وغير منسجمة تطرق من بعيد مسامع الحشد حول الأحمق.

إيقاع الدف والمزمار عند المنعطف يوقظ الرغبة في الرقص لدى الصغار.

يتمكن منهم الإيقاع.

يجرون جماعة في اتجاهه.

موكب الرقص:

تطل الكوكبة الأولى من **الموكب** الصاخب على الشارع الوحيد للمدينة بأصوات ذكورية جهوية:

والله مصلي عليك، يا رسول الله !
جاه النبي العظيم
جنة القوم الصالحين...

الجوقة الموسيقية تتصدر **الموكب** بزيها الفني الموروث عن تقاليد الإسبان أيام الاستعمار، وحركات أرجل عازفيها التي يعوق كبر السن انضباطها تداعب الأرض على إيقاع موسيقى **الدوص باصوص**...

كتيبة النساء وراء الجوقة الموسيقية تصلي وتسلم على النبي بفتور واضح وتزغرد بخمول تحت صينيات الهدايا حيث تراكمت مجوهرات وأحذية أنثوية وربطات نعناع وملابس عروس...

الجوقة الجبلية في الخلف تحاول استمالة كتيبة النساء لتنشيط **الموكب**. مايسترو الجوقة يستحضر بمزماره كل قصائد الغزل والحب العذري وينتقل بين كل المقامات الموسيقية لكنه لا ينجح في استمالة النساء أمامه إلا بأغاني الحب الموءود والزواج القسري.

آنذاك فقط، وقف امرأة لتحاور "**الغياط**"، عازف المزمار:

وأنا غادية للعالــــي   انشكي له بذنوبــــي
(أنا راحلة إلى ربــي   لأبوح له بذنوبــــي)
أمي أعطتني للشايب   وأنا بغيت محبوبي
(أمي زوجتني للعجوز   وأنا مولهة بحبيبي)

تقتحم فتاة حلبة الرقص تحت إيقاع "**الغيطة**" والطبل وزغاريد النساء وهتافات الصلاة والتسليم على النبي. تتسلق عربة الهدايا الخلفية. تنزع المنديل عن رأسها لتتحزم به. تقسم ردفيها إلى أربع لتعتصرها بهستيريا في كل اتجاه. ذراعاها، في الهواء، ترسم شبابيك ومتاهات وقدماها على خشبة العربة تركل بجنون وشعرها الطويل المخبل يمسح بدوائره المجنونة كل اللاءات:

وأنا غادية للعـــالي   انشكي له بذنـــوبـــي
أمي أعطتني للشايب   وأنا بغيت محبوبـــي
لا سمـــاحة ليـــك   يا باشا البليـــــــة
أمي دارت ادراري   وأنا بقيت مخليـــــة

يهدئ المايسترو " **الغياط**" الإيقاع.

يتحرك **الموكب** من جديد.

تعود الراقصات لصوابهن.

تنزل الراقصة المُحَزّمَةُ بالمنديل من العربة وتصفف شعرها بيديها لِتَلُفَّهُ فيه من جديد.

يستأنف **الموكب** زحفه غرباً بإيقاعات وأصوات تتباين وتتداخل. إيقاعات كلما ابتعدت أوغلت في الفوضى.

موكب الصراخ:
هدير...

خطوات متسارعة...

صرخات منتظمة...

صياح الحناجر يقترب أكثر فأكثر:

غيتك غيتك، يا الله
ارحم عبيدك، يا الله
ها السنبلة عطشانة
ارويها، يا مولانا...

كل الأصوات تنصهر في صراخ واحد يسوي الجميع: كبارا وصغارا، نساءا ورجالا...

صراخ أكبر من كل الفروقات.

صراخ فوق الجميع:

غيتك غيتك، يا الله
ارحم عبيدك، يا الله
ها السنبلة عطشانة
ارويها، يا مولانا...

يتقدم الصارخون في الشارع الوحيد للمدينة بملابس مقلوبة، داخلها للخارج وصدرها للوراء. يسرعون الخطى، حفاة، عرقانين، هائجين. يجْرُونَ، جارّين وراءهم الحمقى والأرامل وذوي السوابق العدلية والعاطلين والأطفال...

يبتعد **الموكب** ويبتعد معه الهدير شيئا فشيئا حتى يخفت ويختفي ويعود الهدوء للشارع من جديد لكن الشمس في السماء تبقى دائما حارقة والهواء القائظ أكثر إطباقا على الأنفاس...

24 يونيو 2003

فهرس النصوص

لا للعنف ضد الطفل:

لا للعنف ضد المرأة:

لا للعنف ضد الحيوان:

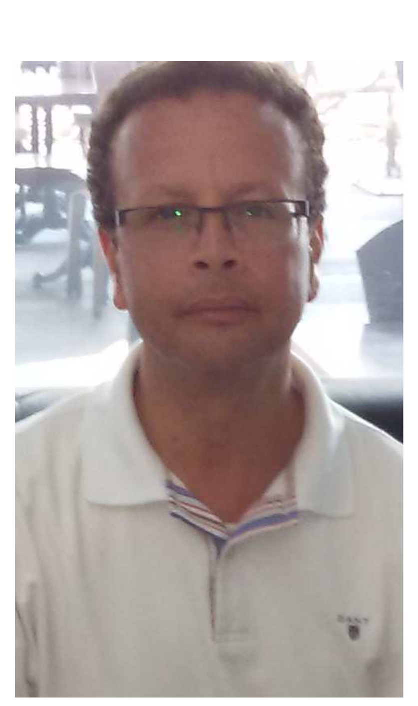
لا للعنف ضد السؤال:

لا للعنف ضد الاختلاف:

لا للعنف:

السيرة الذاتية لمحمد سعيد الريحاني

- حاصل على شهادة **الماستر** في **الترجمة والتواصل والصحافة** من **مدرسة الملك فهد العليا للترجمة** بطنجة/المغرب (تابعة **لجامعة عبد الملك السعدي**، تطوان/المغرب)، و على شهادة **الماستر** في **الكتابة الإبداعية** من كلية الفنون والعلوم الاجتماعية **بجامعة لانكستر** بالمملكة المتحدة، وعلى شهادة **الإجازة في الأدب الإنجليزي** من كلية الآداب والعلوم الإنسانية **بجامعة عبد الملك السعدي**، تطوان/المغرب.



- عضو **"اتحاد كتاب المغرب"**منذ 2008، وعضو هيأة تحرير **"مجلة كتابات إفريقية"** الأنغلوفونية ***African Writing Magazine*** الصادرة من مدينة بورنموث ***Bournemouth*** جنوب **إنجلترة** منذ 2010، وعضو الهيئة الاستشارية **للتقرير العربي للتنمية الثقافية** الذي تصدره **مؤسسة الفكر العربي** من **بيروت** منذ 2010**...**



صدر له باللغة العربية:

- **"الاسم المغربي وإرادة التفرد"**، دراسة سيميائية للإسم الفردي **(2001)**
- **"في انتظار الصباح"** ، مجموعة قصصية (2003)
- **"موسم الهجرة إلى أي مكان"**، مجموعة قصصية **(2006)**
- **"الحاءات الثلاث"، أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة** (حاء **الحلم**، 2006)
- **"الحاءات الثلاث"، أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة** (حاء **الحب**، 2007)
- **"الحاءات الثلاث"، أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة** (حاء **الحرية**، 2008)
- **"تاريخ التلاعب بالامتحانات المهنية في المغرب"** (الجزء **الأول**، 2009)
- **"تاريخ التلاعب بالامتحانات المهنية في المغرب"** (الجزء **الثاني**، **2011**)
- **"موت المؤلف"**، مجموعة قصصية **(2010)**
- **"حوار جيلين"** (مجموعة قصصية مشتركة مع القاص المغربي **إدريس الصغير**) 2011
- **"عَدُوُّ الشَّمْسِ، البَهْلَوَانُ الذِي صَارَ وَحْشاً"، أول** رواية عن **الثورة الليبية (2012)**
- **"وراء كل عظيم أقزام"**، مجموعة قصصية **(2012)**
- **"لا للعنف"**، مجموعة قصصية **(2014)**، منشورات **مكتبة سلمى** بتطوان/المغرب
- **"حاء الحرية"** (خمسون قصة قصيرة جدا)، **(2014)**، منشورات **وزارة الثقافة المغربية** بالرباط/المغرب
- **"العودة إلى البراءة"**، مجموعة قصصية (2015)، منشورات **اتحاد كتاب المغرب** بالرباط/المغرب.
- **"صدقية الشعار الإعلامي العربي من خلال بناء الصورة الإخبارية"** (شعار قناة الجزيرة، **"الرأي والرأي الآخر"**، نموذجا)، 2015.

وصدر له باللغة الإنجليزية:

- *Waiting for the Morning* *(Short Stories)* Bloomington (Indiana/USA): Xlibris, 2013. **ISBN:** 978-1493104093

كما استضافته عدة كتب **للحوار**:

- **أنس الفيلالي، "رَيْحَانِيَاتٌ"** (سلسلةُ حوارات شاملة منْ **أربعينَ** لقاءً صحفياً مع **محمد سعيد الريحاني**)، عمان/الأردن: **دار الصايل للنشر**، الطبعة الأولى، 2012 (الطبعة المغربية: **مكتبة سلمى الثقافية**، تطوان/المغرب، 2015).
- كتاب جماعي، **"مع الريحاني في خلوته" (**ثلاثون حوارا في الفن والثقافة والأدب مع **محمد سعيد الريحاني** أجراها أدباء ونقاد وإعلاميون عرب) تطوان/المغرب: **مكتبة سلمى الثقافية**، الطبعة الأولى، 2015.

أشرف على **الترجمة الإنجليزية** للنصوص المكونة **للقسم المغربي** في عدة أنطولوجيات نشرتها دور نشر **"ريد سيه بريس"** و**"أفريكا وورلد بريس"** و**"مالت هاوس":**

- **"صوت الأجيال: مختارات من القصة الإفريقية المعاصرة"، *Speaking for the Generations: An Anthology of Contemporary African Short Stories*** (ثمانية نصوص مترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية لثمانية قصاصين مغاربة)، 2010.

- **"أنطولوجيا الشعر الإفريقي الجديد"، *We Have Crossed Many Rivers: New Poetry from Africa*** (خمس قصائد مترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية لخمسة شعراء مغاربة)، 2012...

له عدة **دراسات في الإعلام**، قيد الإعداد للطبع:

- **"مساهمة الإعلام في حوار الحضارات: الأسباب والوظائف والغايات"**.
- **"الصورة الإخبارية في إعلامي الحداثة وما بعد الحداثة"** (دراسة مقارنة للأداء الإعلامي لقنوات **السي إن إن، أورونيوز، فرانس 24** و**الجزيرة**).

عنوان الموقع الإلكتروني: http://www.raihanyat.com

البريد لإلكتروني: mohamed_said_raihani@yahoo.com